مجلة العلوم الإنسانية
Journal of Human Sciences
www.Suj.sebhau.edu.ly ISSN 2707-4846
Received 03/03/2016 Revised 11/10/2018 Published online 31/12/2018

الشكوى الهروب داخل الذات في شعر علي عبد المطلب الهوني

مبروكة محمد صالح إعبيدات
قسم اللغة العربية–كلية التربية تراغن–جامعة سبها، ليبيا
للمراسلة: mab.aebeedat@sehau.edu.ly

الملخص ظهرت مفاهيم إنسانية فرضتها المتغيرات الحضارية والاختلاط بالثقافات الأخرى المختلفة والتحولات الاجتماعية الهائلة في الأدب عامة والشعر خاصة، ومن هذه الظواهر شعر الشكوى، وهو فن متجدد، له جذوره في القدم، وله أثاره الضخمة على المجتمعات الإنسانية باختلافها، وله انتشاره على مستوى شرائح شعراء المجتمع باختلاف طوائفهم ومذهبهم وجنسياتهم؛ لأنه تعبير عن آلام الإنسان المكنونة وأحزانه المؤلمة ومشاكله التي يواجهها في الحياة، نفسية كانت أم اجتماعية أم نفسية. ويحاول البحث بداية الوصول إلى مفهوم محدد للشكوى من خلال مناقشته من الناحية اللغوية والاصطلاحية(الاجتماعية) ثم الانتقال إلى الجانب التطبيقي التحليلي لشعر الشاعر الليبي علي الهوني، وذلك بمقاربة موضوعات الشكوى وربط سياقها الخاص بالعام، فهناك الشكوى الذاتية وما تحمله من انفصال الفرد عن ذاته وعن المجتمع .. والشكوى الاجتماعية التي يتم فيها انفصال المجتمع عن أفراده وعن الزمان والمكن ..والشكوى الفكرية التي تناقش انفصال الفرد عن ثقافة مجتمعه الحاضرة والماضية.

الكلمات المفتاحية: داخل، الذات، شكوى، الهروب، الهوني.

The complaint of escaping within oneself in ofAli Abdulmuttalib Al-huhi

Mabroukah Mohammded Aebeedat
Department of Arab, **Faculty** of Education Traghn, Sebha University, Libya
Corresponding author: mab.aebeedat@sehau.edu.ly

Abstract Human concepts emerged imposed by civilizational variables, intermingling with different cultures, and massive social transformations in literature in general and poetry in particular, and among these phenomena is the poetry of complaint, and the objective conditions and the self-readiness of each poet to depart from the patterns of tradition are factors that led to the expansion of the circle of literary issues and to adopting literary expression A tool for a large movement of cash. The poetry of the complaint is a modern and renewed art, which has its roots in ancient times and has huge implications for human societies in its diversity and has its spread on the level of the poets of society with different sects, doctrines and nationalities, because it is an expression of the hidden human pain, painful sorrows, and problems that he faces in life, whether psychological, social, or psychological. The poets 'view of the complaint differs, each according to his culture and age, and this is natural due to the circumferential and ground-based differences of sophistication and depth. Each has his own sense, creative energy and verbal connotations that are shaped by the sincerity of experience. The poetic experience of Al-Huni's poetry is one of the most prominent experiences evident in his poetry (Escape within the Self), through which it became clear that his life experience is difficult due to the conditions of mobility and poverty, because he was able, however, to defeat time and persevere in forming himself by learning inside and increasing knowledge abroad, but he In all stages of his life, he was connected to his land (the south) and to the problems of his reality in terms of clarity and comprehensiveness. One of the most important characteristics of the poetry of the complaint of the poet (Al Huni) was to define his position on the conflict that is taking place in a society, and that every creative process on his part stands on the side of a class of conflicting groups. The question that arises is to what extent has the Huni poet succeeded in addressing emotional and social dilemmas through the poetry of complaint? We do not try to offer solutions through the poet's poetry; But we try to find out what distinguished his poetic experience through the complaint axes. The research will initially attempt to arrive at a specific concept of the complaint by discussing it in terms of linguistic and idiomatic (social) terms, then moving to the practical and analytical side by approaching the subjects of the complaint and linking its context to the general public. In which the society is separated from its members, from time and place ... and the intellectual complaint that discusses the individual's separation from the culture of his society, present and past.

Keywords: insaide, self, the complaint, escape, Alnoni.

المقدمة:

ظهرت مفاهيم إنسانية فرضتها المتغيرات الحضارية والاختلاط بالثقافات الأخرى المختلفة والتحولات الاجتماعية في الأدب عامة والشعر خاصة، ومن هذه الظواهر شعر

كما أن الظروف الموضوعية والاستعداد الذاتي لكل شاعر في الخروج عن انماط التقليد، عوامل أدت الى اتساع دائرة القضايا الأدبية والى اتخاذ التعبير الادبي أداة لحركة نقدية واسعة.

وشعر الشكوى فن عصري متجدد، له جذوره في وله أثاره الضخمة على المجتمعات الإنسانية باختلافها وله على مستوى شرائح شعراء المجتمع باختلاف طوائفهم ومذهبهم وجنسياتهم، لأنه تعبير عن آلام الإنسان المكنونة وأحزانه ومشاكله التي يواجهها في الحياة نفسية كانت أم اجتماعية أم نفسية. وتختلف نظرة الشعراء الى الشكوى كل حسب ثقافته وعصره، وهذا أمر طبيعي نظرا للفروق التفافية والأرضية على التمرس والعمق، فكل له احساسه وطاقته الإبداعية اللفظية يصوغها من صدق التجربة.

وتعتبر التجربة الشعرية لشعر الشكوى عند الهوني أبرز التجارب الظاهرة في ديوانه (الهروب داخل الذات) فمن خلالها اتضح أن تجربته الحياتية صعبة بسبب ظروف التنقل والفقر، لكته استطاع مع ذلك أن يهزم الزمن وأن يثابر على تكوين نفسه بالتعلم بالداخل وزيادة الاطلاع في الخارج، لكنه في كل مراحل حياته كان مرتبط بأرضه(الجنوب) وبمشكلات في وضوح الرؤية والشمول.

وكان من أهم ما يميز شعر الشكوى عند الشاعر(الهوني) تحديد موقفه من الصراع الذي يدور في وان كل عملية ابداع من طرفه تقف الى جانب فئة من الفئات المتصارعة.

والسؤال الذي يطرح نفسه هو إلى أي حد أفلح الشاعر الهوني في معالجة المعضلات الوجدانية والاجتماعية من خلال شعر الشكوى؟

لا نحاول تقديم الحلول من خلال شعر الشاعر؛ ولكن نحاول الوقوف على ما تميزت به تجريته الشعرية من خلال محاور الشكوى.

وسيحاول البحث بداية الوصول إلى مفهوم محدد للشكوى من خلال مناقشته من الناحية اللغوية والاصطلاحية(الاجتماعية) ثم الانتقال إلى الجانب التطبيقي التحليلي وذلك بمقاربة موضوعات الشكوى وربط سياقها بالعام، فهناك الشكوى الذاتية وما تحمله من انفصال الفرد عن ذاته وعن المجتمع ... والشكوى الاجتماعية التي يتم فيها انفصال المجتمع عن أفراده وعن الزمان والمكان ..والشكوى الفكرية التي تناقش انفصال الفرد عن ثقافة مجتمعه الحاضرة والماضية.

معنى الشكوى لغة:

يقول الخليل أحمد الفراهيدي[1]: شكو، الشكوى والاشتكاء، تقول: شكا يشكو اشتكاء، وقد استعملت هذه اللفظة في الموجدة والمرض وعند الإحساس بالألم، إذن فهو شاك مريض[2]. التوجع من الألم ونحوه، والشكوى ما يشتكي منه، والجمع قال الراجز:

تمُدُّ بالأعْناقِ أو تَلْويها وتشتكِي لَوْ أَنَّنَا نُشْكِيها

يذكر الزبيدي[3] أن: الشكاية الإخبار بضعف الحالة: إذا أخبره بسوء فعله به [4] ، ومنه قوله تعالى:(أنما اشكوا بثي إلى الله) [5] وقال تعالى:(وتشتكي إلى الله) [6] وأَصْلُ الشَّكْوِ فَتْحِ الشَّكْوَةِ وإظْهارُ ما فيها وهي سِقاءٌ صغيرٌ وكأَنَّه في الأَصْلِ اسْتِعارَةٌ كقولهم: بَثَثْتُ له ما في وِعائي ونَفَضْتُ له ما في جرابي أَظْهَرْتَ ما في قَلْبِكَ، وننتهي من ذلك في أن كلمة الشكوى معنى الوجع والألم والحزن والمرض والعيب وإظهار التحسر شيء مكنون أو ظاهر تعرض له الإنسان في حياته.

مفهوم الشكوى اصطلاحاً:

أما الشكوى في الاصطلاح فقد اختلفت معانيها وتعددت و كلها تدور حول كونها: عاطفة تعبر عن اليأس والحرمان فالشكوى ((معنى من معاني الشعر الوجداني العميق)) أساسها الشعور بالحرمان، ولعلها من أول الفنون التي تفصح عن عاطفة الإنسان المتشائمة والناقمة)[7] وقد عرفت بأنها:(التوجع من شيء تنوء به النفس كالمرض والفقر والشيخوخة والحرب والموت والدهر والخيانة والكذب، وتتجلى من خلاله بث ما يعانيه ذو الشكوى إلى الآخرين [8]

كما وضع الباحثون المعاصرون تعريفات جديدة للشكوى إطار محدد منها: تعريف الأستاذ بيان على عبد الرحيم*: تعبير عن الحرمان والإحساس بالظلم عندما تتعقد ظروف الإنسان. وقسم الشكوى إلى عامة وخاصة. [9] فالخاصة: الإنسان وما يعانيه من مشاكل ذاتية لا تتعدى دائرة شيخوخته وهجر حبيبته... وما إلى ذلك. والعامة: تتمثل في شكوى الزمان وتغير أحواله بعد أن ضاعت مقاييسه وتغيرت موازينه [10] كثيرة يكون الفقر هو شكوى الشاعر.

و((الشكوى فن من فنون الشعر الوجداني العميق، وهي بعد لون من ألوان الشعر المتجدد لاتساع نطاقها بين الشعراء نتيجة لقساوة الحياة الاجتماعية وخاصة شكوى الزمان والأهل وندرة الوفاء واختفاء المعروف بين الناس)) [11]

إذن الشكوى ((إبراز للفنون الشعرية الصادقة وتصوير لعواطف الإنسان المشحونة بالتعب ولقضاياه الإنسانية والمشاهد الاجتماعية والهموم البشرية)) [12] لأن (مجال الشعر هو الشعور، سواء أثار الشاعر هذا الشعور في تجربة ذاتية محضة كشف فيها جانب من جوانب النفس، أم نفذ من خلال تجربته

الذاتية إلى مسائل الكون، أو مشكلة من مشكلات المجتمع، من ثنايا شعوره وإحساسه) [13]

إذن الشكوى شعور فطري يلجأ الإنسان إليه عند الشعور بالألم أو الحزن أو اليأس، وما يوافق ذلك من إحساس باضطهاد أو طغيان أو ظلم، أو اضطراب في الحياة الاجتماعية والفكرية السياسية، ويخرج الإنسان لهذا الشعور لدفع الظلم الواقع عليه أفراد أو من المجتمع

بواعث الشكوى:

البواعث مفرد الباعث، ويعني الدافع أو السبب الداخلي الذي حرّك الإنسان ونشّطه عند النقص والحرمان أو الحاجة، وهو السبب الذي يؤدي إلى التوتر، لإكمال النقص وإشباع الحاجة، لذلك لابد لكل شكوى من باعث ولكل باعث سبب، وهذه تتلخص في الاتي:

أ-بواعث طّبيعية:

أحيانا يحتاج الإنسان إلى الشكوى تنفيساً وإفراغاً لانفعالاته المشحونة، فيشكو طبيعياً ليخرج ما في مكنونه من هموم وآسى وأحزان ويدعوا الله سبحانه وتعالى ليزيل بلائه ويزيح عنه الهم والغم والبلوى.

قال الطائي(14) وهو ليس من عادته الشكوى ولا من خصاله؛ بل الهموم اضطرّته إلى الشكوى [15]

شَكَوتُ وَما الشَكوى لِنَفسِيَ عادَة
وَلَكِن تَفيضُ النَفسُ عِندَ امتلائها

وقال أبو الحسن بن محمد البصري [16] شاكياً من الهموم حين شعر بالضيق (وهذا النوع من الشكوى لا يذمّ لأن الإنسان يشكو الآلام والأحزان حين يحس بالضيق والاكتئاب والقلق والكرب) يقول: [17]

تعبُ الهوى بمعَالِمِي ورَسُومي وَدَفنتُ حياً تحْتَ رِدم همومي
وَشَكَوْتُ همّي حينَ ضِقتُ ومنْ شَكاة ما يضيق به فغير ملُوْم

ب- بواعث نفسية:

يتعرض الإنسان للإقصاء وللإهمال ولسوء المعاملة والعنف من قبل الأفراد أو الجماعات، وقد تؤدي مثل هذه الحوادث إلى نوازع نفسية حادة، تقوده إلى الشكوى. ليعبر عن أنين داخلي ملتهب من ذات معذبة تعكس تصور الشاعر وهمومه الداخلية الخاصة.

شكا الشاعر عبد العزيز عتيق* من الأصدقاء لصداقتهم الزائفة، فقال: [18]

صُوَرُ الخُبثِ مَاردا لك يخْفي تحْتَ ثوْبِ الصَّدِ يقِ طيع الذّئاب
مَا لهمْ حَقروْا الوَفاء وَخَانوا كُل عهد وأَوْغَلُوْا فِي اجْتنابي
وَجَفوْا صَحْبَتي ودُنيا وفائي وَاسْتَعَانوا عَلى الجفا بالتغَابي

واشتكى أيضاً من الناس لغدرهم وانعدام وفائهم، فقال: [19]

وكُلّ الَّذي ألقى منَ الناسِ عَقرب يسر بمرْآة ويَخْفى لِي
فإنْ هو لمْ ينفُثْ بجِسْمِي سمَامه فسَوْفَ يقاضِيني ويوسعُني ذَمّا

ج-بواعث اجتماعية:

غالباً ما يتجرد الشاكي في هذا الباعث من وجعه ليصور وجع الآخرين، في عملية كبرى تكشف بلايا وأوجاع المجتمع، فأحياناً الأوضاع الاجتماعية تدفع الشخص إلى ليعكس الواقع المرير والأحداث والمواقف، وكثيراً ما يلجأ في إشعارهم لمثل هذه الشكاوى. اشتكى [ii]المتنبي [20] من الناس أنهم يخادعون بودهم، ولا يصدقون فيه ودينهم النفاق: [21]

فلَمْ أرَ وُدّهمْ إلاّ خِداعاً وَلَم أرَ دينَهمْ إلاّ نِفاقَا

د -بواعث سياسية:

يعيش الإنسان في أوضاع سياسية وما يعتريها من أحوال ينتج عنها غالبًا انفلات الأمن وانعدامه، وتبرز مظاهر العنف والدم والظلم، فيطلق الشاعر صوته استرحاماً وتعطفاً وتأملاً في الخلاص، والأمثلة على ذلك كثيرة، منها: الشاعر أبو العتاهية[22] يرفع شكواه المريرة من غلاء الأسعار إلى الخليفة العباسي هارون الرشيد، فيقول : [23]

إنّي أَرى الأَسْعَار أَسعَار الرَعيَّة غاليـه
وَأَرى المَكاسبَ نَزرَةً وَأَرى الضَرُوْرَةَ فاشيه
وأَرى اليَتامى وَالأَرامِلَ في البُيوت الخَاليـه
يَشكونَ مَجدَةً بأَصوات ضعَاف عَاليـه
مَنْ يُرتَجَى فِي الناسِ غَيرُكَ للعُيونِ الباكيـه
مِنْ مُصبِيات جُوعٍ تمسي وَتُصبحُ طَاويه
مَنْ للبُطونِ الجَائعَات وَللجُسومِ العَاريَه
لقَيتُ أَخباراً إِلَيكَ مِنَ الرَعيَّة شافيَه

تطور شعر الشكوى:

شكل شعر الشكوى في تطوره ظاهرة لافتة للنظر، إذ قلما منه شعر شاعر؛ لأن أجواء الحزن ألقت بظلالها الثقيلة على الفترة الذين عبروا عنها تعبيراً صادقًا في جميع أغراض الشعر، فجاء شعرهم مرآة وصورةً صادقة كل الصدق للعواطف فالشعر لا يقال إلا عن شعور صادق ووفاء مستديم وإيمان عميق

يفيض بروحانية عالية، تمثل الجزع الحائر والفجيعة المرة والفقد المتعمد. وشعر الشعراء في معظمه يعبر عن خيبة الأمل التي أصابت العرب وبالأخص (الليبيون في الفترة التي أعقبت احتلال ايطاليا وما نجم عنها من زوال للسيادة الوطنية) بيدا أن شعر الشكوى في هذه الفترة (العصر الحديث) أكتسب أهميته في كونه يمثل صورة صادقة لطبيعة الحياة القاسية التي عاشها العرب وبالأخص(الليبيون) وهم يقارعون واقعهم المرير وما كان يرميهم من مآس وويلات. وبشكل عام –على العرب–أصبح العربي مسلوبي الإرادة مغلوب على أمره، واقع تحت رحمة المحتلين لا حول له ولا قوه. أثرت تلك الأوضاع على الشعراء تأثيراً عميقًا وخاصة على نفسياتهم، لذلك نجدهم قد أسرفوا في قول الشعر؛ لأنهم وجدوا فيه ما يلائم نفوسهم الحزينة فاتخذوه وسيلة ينفسون عن أحزانهم التي ضاقت بها ذرعاً.

ومثل هذه النفحات الحارة لشعر الشكوى التي أطلقها شعراء القرن التاسع عشر (في البلدان العربية بشكل عام) مثلت أولى مظاهر التطور لشعر الشكوى من خلال: الرفض الجائر للواقع الذي فرضه الغزاة على العرب، وثانيها: تمثل البداية العفوية للنهضة الحديثة التي بدأت منذ النصف الأول من القرن التاسع عشر وكانت بدايتها بسيطة لا تتعدى ردود أفعال سلبية ظهرت على السنة بعض الشعراء نحو واقعهم المزري)) [24]

وليس من الغريب أن نجد اضطراباً في مواقف الشعراء فنرى بعض منهم يتخبط في مواقفه، فتارة ناقماً ساخطاً على الفاسد، وتارة أخرى يمالي ويتزلف إلى الحكام؛ لأن هذه المرحلة تمثل بداية النهضة الحديثة بعد أن عاش(الليبيون)– ولنقل– العرب في انقطاع حضاري دام عدة قرون حرموا فيها من أبسط حقوقهم حتى أمسوا في جهل مطبق، جعلهم لم يدركوا بعد حقيقة واقعهم المزري والجهات التي تقف وراء معاناتهم؛ لذلك نجدهم صبوا جام غضبهم على الدهر، وكأن الدهر هو الذي ألحق بهم هذا الأذى كله، والأقدار هي التي خلقت منهم فقراء معوزين.

ويلجأ الشعراء للشكوى حين تزداد قساوة الواقع ولا تحمله، فيفصحون عن تذمرهم من مفاسد واقعهم، ويدفعهم ذلك بعض الأحيان إلى القيام بردود أفعال سلبية تعكس واقع تفكيرهم، منها على سبيل المثال يتخذون الهجرة من مواطن الذل وسيلة للخلاص. وهذه الوسيلة التجأ إليها غالبية الشعراء غير أن هناك شعراء اتخذوا من الشعر الديني وسيلة لتأجيج المشاعر الوطنية.

الأزمنة التي مر بها شعر الشكوى:

اتخذ شعر الشكوى حيزاً كبيراً وشيوعاً واسعاً وتنوعاً في موضوعاته، حتى بات يشكل ظاهرة في الشعر العربي قبل وشعر وكسبت عواطفهم. ومن أهم ما يلاحظ على الشعر أنه (كامل الصياغة فالتراكيب تامّة ولها دائماً رصيد من تعبر عنه وهي في الأكثر مدلولات حسية، إلا أن أشعار الشكوى لمتكن غرض مستقل بذاته؛ بل كانت تضم أغراض أخرى والمدح والوصف... في القصيدة) ولكنّ الأقرب للشكوى كان والهجاء والوصف والغزل.

فعلى سبيل المثال–لا الحصر –عرض الشاعر امرؤ القيس[25] *[iii]الشكوى من الليل الطويل الذي ثقل عليه، الهموم والأحزان وقال [26]

وَلَيلٍ كمَوْجِ الْبَحْرِ أَرْخَى سُدولَهُ عليَّ بِأَنْواعِ الهُمُومِ لِيبْتَلي

ومعروف أن الشعراء ناجوا الليل وأكثروا من مخاطبته؛ لأنه ليل مثقل بالهموم والسهر والانتظار. وعلى الرغم من أنهم على علم ودراية بان المناجاة لا تخرج بطائل أكثر مما هي بث ما في كوامن النفوس وإيصالها إلى الآخرين؛ إلا أنهم ظلوا يناجونه ويشكون له همومهم، فالشاعر أحياناً (يكبت حزنه ويتجمد في المصيبة والأسى المفجع، فإذا أراد التعبير انفجرت همومه وأحزانه، وصار الشعر متنفسا إلى الراحة من ثقل الهموم. [[iv] وينظر شعراء ما قبل الإسلام إلى الدهر نظرة الاشمئزاز والعتب، وتتباين هذه النظرة تبعاً للظروف التي ألمت بهم، والمؤثرات التي حكمت عليهم، فدونت قصائدهم بشكوى باكية وصراع مر مع الزمن؛ سببه الخوف الذي أصابه واكتسحه من كل وسائل القوة والهيبة والعزة. وهذا ما سنراه عند عنترة شداد [28] وشكواه الجارحة، فإذا هو رهينة اعزل وهدف تحت رمية سهام الدهر، ذليلاً ضعيفاً متعباً من كل جوانب الحياة التي كان يعتز بها ويفتخر، يقول: [29]

أُعاتِبُ دَمراً لاَ يَلِينُ لعَاتِبِ وأَطْلُبُ أَمْناً مِنْ صُرُوفِ

وتُوعِدُني الأَيَّامُ وعْدا تَغُرُّني وَأَعْلَمُ حَقاً أَنَّهُ وَعْدُ كَاذِبِ

خَدَمْتُ أُناساً وَاتَّخَذْتُ أقاربا لِعَوْنِي وَلَكِنْ أَصْبَحُوا كالعَقَارِبِ

ولعل من البواعث الرئيسة لشعر الشكوى إخفاق الشعراء في تحقيق طموحاتهم، وشعورهم بأنهم لم يكونوا في المنزلة المرموقة التي يرتضونها وسط مجتمعهم' لذا تعددت فنون العرض وسبل التعبير لشكوى الشعراء وذلك حسب القدرة وتنوع الثقافات، ما حرموا من طموحات في الحياة، وما يسود مجتمعهم من ضيم وظلم وذل. شكوى فرضت عليهم لظروف قاهرة خارجة عن أرواحهم التي تستهوي حب الذات، ولاسيما التعمق برغبات تصقل الشخصية، وتبعث أمل الحياة من جديد إلا أن « الفرد مهما

يكن قوي الشعور بذاته، عنيف الكبرياء فهو أسير الأعوام التي قدرت له على الأرض)). [30]

أصيب معظم شعراء الأدب العربي في **العصر الأموي** في آمالهم الاجتماعية والعاطفية والاقتصادية، فتبرموا بالدنيا وأهلها. فكثرت الشكوى بسبب الحروب التي حدثت بين المسلمين والمشركين، وتحول مسار الشكوى في هذا العصر إلى الشكوى عز وجل لكربتهم وأحزانهم لأنه هو الملجأ والمأوى والمعين.[v]

قال خبيب بن عدي [31] –رضي الله عنه–حين حاول الكفار صلبه [32]

إلى اللهِ أَشْكُو غُربتي ثمَّ كربْتي
وَمَا أَرْصَدَ الأحْزَاب لِي عِندَ مَصْرَعي

إن شعر الشكوى استجابة لرسالة الإسلام صدقاً وأمانةً وإخلاصاً وفكرةً طيبةً لتطهير نفوس الناس، وتهذيب أخلاقهم المليئة بالفسق والجور، وقد صوّر الشعراء الأوضاع الاجتماعية والسياسية الفاسدة في العصر الأموي حين وزّعت الأموال والمناصب السياسية. فتكلّموا عن الظلم والجور واليأس الذي وجد فيه المجتمع.

ويقول الفرزدق [33] شاكياً: [34]

قلئن قَيْسُ عَيلانَ اشتكَتني لمثلمَا
بها يُتَشكّى حينَ مَضّتْ كُلُومُها

ويشكو جرير: [35]

إلى اللهِ أَشْكُو أنّ بالغَوْرِ حَاجَة
وأُخْرَى إذا أَبصَرْتُ نجْداً بدَاليا
إذا تنحنُ فِي دَارِ الجَمِيعِ كَأَنمَا
يكُوْنُ عَلَينا نصْفُ حوْلٍ لياليا [36]

ظهرت موضوعات الشكوى الجديدة في **الأدب العباسي** أثر المعاناة وقسوة الحياة المعاصرة والمتجددة نتيجة الاختلاط والفكري والثقافي، وحين نتبع شكوى الشاعر العباسي نجد أن مصائبه كلها في نظرة مصدرها الدهر ولا شيء غيره، فهم إليه كل ما يحل بهم من مكروه، فإن كان غير ذلك ردوه إلى والفأل. وقد بين الله سبحانه وتعالى عقيدتهم تلك من قبل، فقال تعالى:(وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر) [37].

اتسعت الشكوى وتنوعت معانيها واستحدثت ألفاظها بحسب معطيات العصر فظهرت قصائد الشكوى مستقلة بدون أن تضم معها غرضاً آخر، وتحول مسار الشكوى من الزمان إلى ضرب من التشاؤم الشديد.

اشتكى الشاعر المتنبي* من الدهر متعباً ويائساً لما جمعت المصائب عليه وتكسر فؤاده، يقول [38]

رَماني الدّهرُ بالأرزاءِ حتى ... فُؤادي في غِشاءٍ منْ
فَصِرْتُ إذا أصابَتْني سِهامٌ ... تكَسّرَتِ النّصالُ على

اتجه الشاعر العباسي إلى التجدد والتنوع والتعبير عن الأحاسيس الذاتية والحياة العامة، فوصف الطبيعة بكل ما فيها مظاهر، يقول المتنبي شاكياً من كثرة موانع البرد والثلج التي النباتات من الظهور: [39]

مَا لِلمُرُوجِ الخُضْرِ والحَدَائِق ... يشكُو خَلاها كَثرَةَ

ويقول الفيلسوف الكندي[39] [vi]يشتكي فساد الأحوال السياسية، بعدما ساد الظلم بسبب اضطرب القيم وتقلّب الأحوال السياسية: [40]

أناف* الذنَابي* على الأرُؤسِ ... فَغَمضْ جُفونَك أوْ نَكسْ
وَضَائل سوَادكَ وَاقْبض يدَيْكَ ... وَفي قعْرِ بَيْتك فَاسْتَجلسْ
وَعنْدَ مَليكك فَابْغِ العُلو ... وبالوحْدَةِ اليوْم فاستأنس
فَإنَّ الغنَى في قلوْبِ الرجال ... وإن التَّـعَزّزَ بالأنْفس
وَكَائن تَرَى منْ أخي عُسْرَة ... غنّى وذي ثَرْوَة مُفْلس
وَمنْ قَائم شَخْصه مَيّت ... على أنَّه جَـــــلمْ يرمْـــس

ويشتكي البحتري من كثرة استعمال أسلوب البديع عند أغلب الشعراء، فيقول: [41]

قَدْ تَطَلّبْتُ مَخـــــرَجاً ... من هواه، فَلَمْ أَجِـد
ضاقَ صدري بما أجنّ، ... وقَلبي بِمَا وَجَـــ
وتغضبتُ، إنْ شكوْتُ ... جوى الحُبّ، والكمَدْ
واشتكائي هواكَ ذنْبٌ، ... فإنْ تَعْفُ لا أُلَـــ

ومن خلال ما سبق يمكننا استخلاص الآتي:

– تأتي الشكوى في أغلب العصور (ألا في العصر العباسي) مجردة من التصنع والتكلف وتختلف عن المدح والفخر وباقي أغراض الشعر العربي؛ لأنها خاليةً من الافتعال مليئة بالمعاناة، ممزوجة بالحزن ومشحونة بالصدق والتعبير الحقيقي عن العواطف المشوبة بالتعب.

– تمتاز الشكوى بعمق العواطف، وذلك لارتباطها بالألم والقلق والامتعاض والضيق والحزن وهذه المجموعة من المشاعر من القلب.

– تمتاز الشكوى بالواقعية في تصوير الأشياء الداخلية بصورة واضحة وتشتمل على عناصر عقلية ترتكز على العقل.

– تشتمل الشكوى على معان وهموم إنسانية جمعت الشعراء في ميدان البوح، فاحتوت على مشاهد اجتماعية وسياسية، فضلاً الجوانب الذاتية للشاعر، ونرى هذه السمة جلية في شكاوى الشعراء في جميع العصور فالمشاعر أحداث متباينة لا تستقر على حال نتيجة الأوضاع الاجتماعية والسياسية.

– أن شعر الشكوى يعطي للوجود قيمته، فهو انتزاع القيم في أعماق النفس البشرية وإيصالها إلى المتلقي مهما تغير أو المكان.

– قد يكون هناك نباين في حضور شعر الشكوى في أشعار الشعراء، ألا أن النزعات الإنسانية بين القديم والحديث استدعت اختلاف الثقافة والنظرة والتطور والمواقف التي لابد أن تدلوا في قضايا المجتمع.

الأسباب الموضوعية لشعر الشكوى.

أخذت الشكوى حيزاً كبيراً من صفحات الأدب الحديث، ما أشار إليه بطرس البستاني[1]* عندما قال: شعر الشكوى كثير في شعر المحدثين فما نكاد نرى شاعراً إلّا شاكياً حتى أصبح النواح صفة قوية تتميز بها منظوماتهم الشعرية. [42]

والشكوى في شعر المحدثين امتدت إلى الطبقات العليا في المجتمع، فالأغنياء أيضاً لهم شكواهم، لكن الأمور نسبية، منهم من يشكو البروقراطية في تيسير أعمال الدولة، وذاك يشكو أن الدولة لا تمنح شيئاً للمواطن، وآخر يشكو تغير القوانين مما بالاقتصاد، ومنهم من يشكو تضارب المصالح

والسؤال الذي يطرح نفسه على أغلب الشعراء.. هل هناك يرى أسباب لتلك الشكوى ومبرراتها؟ هل وجد من الشعراء من خفف من حدتها؟ .

اتصفت الشكوى في أشعار الكلاسيكيين والرومانسيين أصحاب الشعر العربي الحديث بالنزعة الحزينة، وأكثر من به شعراء المهجر والمنفى حيث يدور حول الذكريات والآلام والغربة والبكاء، يرادفها الرمز في ربط الأشياء الماضية مع انفصال الشاعر عن مكانته وجغرافية العاطفية في فضائه المرجعي داخل كينونة ذاته. وعلى الرغم من حيرته بين من المنفى أو التغني بها ألا أن الشكوى منها أصبحت عدة كيوميات أو شهادات أو سير ذاتية يسردها كل ما حانت لها الفرصة.

ومن الصعب اليوم أن نضع لمعنى المنفى تعريفاً ضمن هذه الظروف المعقدة من عمليات النزوح والشتات والاغتراب والتشريد المتعمد بحثاً عن الحرية أو الرغبة في الرقي، وفي الحالة يمثل المنفى واقعاً انتقالياً يتم بالقوة أو بالفعل عندما يعني الانتقال من الأليف والمعلوم إلى الغريب والمجهول، ويعني مواجهة الكائن الإنساني لمصيره في حضرة وجود الرعب

وفي ظل هذه الأحداث من ثقافتنا المتجددة لا يكف الشعر الليبي عن المناداة بحداثته وشق دروب تقدمه بمختلف الميادين والرؤى الجمالية ومن كل الأفواه لشعرائه، فهناك قاسم مشترك أفراد جيله السابق واللاحق في مختلف الأعمال والنصوص التي تم نشرها استناداً على مرجعياتهم الفكرية والجمالية ورؤيتهم للأشياء.

أسباب الشكوى عند الهوني:

وبما أننا بصدد الحديث عن شاعر ليبي فعلى الرغم من أن ليبيا تقع على أرض خصبة وافرة الخيرات، غير أن أبناءها يشتكون شظف العيش، ولعل ذلك يرجع إلى أن موارد هذه البلد استحوذ عليها القلة من الناس، في حين حرم الليبيون منها فهم يكدحون ويشقون غير أنهم لم يجنوا من شقائهم هذا سوى البؤس والحرمان.

والشاعر الهوني سئم الحياة ليس كما سئمها زهير بن أبي سلمى لطولها بل لضنك العيش الذي هو فيه، ومما زاده ألماً هو أن هناك أشخاصا تبنى لهم القصور وينعمون بحياة مترفة في الوقت الذي ظل الآخرون محرومين يقاسون شظف العيش.

خرج الشاعر الهوني برؤية جديدة، فيها نقد لاذع للتهافت على سلب الأموال لتكوين الجاه والنفوذ، وإظهار البطولات وإخفاء المثالب حتى أصبح مرضا ليس منه شفاء، يقول في قصيدة الرأس المنخور: [43]

داء أصيب به الوطن
عجز الطبيب...
هات الكفن...
أذ قد تعفن رأسه
ثم تسرب للبدن
وتوالت الأنباء
أن الرأس لا يشكو..
الأحن
...
قلتم لنا أبطال
قلنا مرحبا بالفاتحين
كذب أريد به اليقين
فالكذب من شيم الرؤوس
أبناء خضراء الدمن

ويقول في قصيدة الهاوية: [44]

الريح تعصف داخل البيت العتيق
فتستحيل إلى صفير
ونباح كلب جائع يقتات من جيف الحمير...
وبكاء طفل خائف
يبكي يناشد أمه كي تستفيق
ويصيح شيخ حانق
أين الطريق إلى الغريق

ليكون في البيت العتيق–

أبطل الشاعر مزاعم هذا النفر من الناس ورأى أن العمل شرف وغاية نبيلة، وخاصة حين تكون الثروة وسيلة إلى الفقراء والمحتاجين من الأقرباء والناس وتحقيق غاية نبيلة في صيانة العرض والشرف يقول في قصيدة الأفعى: [45]

صارت الخمرة لا تعني
لها شيئاً كثيراً
بعد ما كانت ترى
فيها مع الماضي
آثاماً كبيرة...
...
كيف صارت...
للشياطين مطيعة
...
كيف باعت نفسها
للذي تاريخه...

ومثل هذه المعاني هي انعكاس لثقافته الدينية والأدبية، وأجمل ما في رؤيته هي الفكرة القائلة (أن الخمر لا تعني شيئا) مقارنة بما حصل ويحصل وما سيحصل من المحذوف الذي تكراره وكأنه يتنبأ بما هو قادم. ونراه يدحض فكرة (إن المال يصنع الجاه لصاحبه) ويرى أن: العلم وحده هو الذي يمنح الإنسان المنزلة المرموقة في المجتمع حين يشكو لأستاذه[1] فيقول في قصيدة سيد الفكر: [46]

العلم أحوج ما تصبوا البلاد له لما تصرمت الأخلاق والقيم
هذي بلادي بلا علم ولا خلق وهذه أمتي في جبنها عنم
تأتي الذئاب لها من كل سارحة من كل ذئب إلى بثرولها نهم
ما أجمل الرفض لو يأتي فيشعرنا بأننا مثل خلق الله

الشكوى حالة انفعالية تجاه مثير معين أو عدة مثيرات سببت مشاعر ومحفزات حادة كـ (الحب. السعادة. الغضب. الحزن. الخوف. الخجل...) والقلق هو المثير المحوري للشكوى يدور حوله الاضطراب وعدم الاستقرار نتيجة تجارب سلبية في الماضي.

أهم مثيرات الشكوى لدى الهوني:

– لمعت في حياة الهوني شدائد كثيرة منذ صغره، نشأ فقيراً لا يملك مالاً، كما أن الحياة لم تكن سهلة عليه مما سبب له نكبة لها تأثير شديد في نفسه حيث جعلته صاحب نفس شكّاء.

–عبد المطلب الهوني خلق أديباً قلق النفس وليس له صبر على تحمل الوجع أو الاستقرار على حالة فيها شيء من العناء، حينما حاول أن ينال حظه من الدنيا.

– لم يبلغ المكانة التي كان يبتغيها، فكان يطمح بالكثير، فانضم هذا الحرمان إلى ألوان الشقاء الذي عانه في حياته.

– بعد اتساع أفق الهوني الاجتماعي ولاسيما بعد صلته بالأدباء وانتشار شعره بين الناس، أخذ يدافع عن الشعب وحقوقه ويحمل على السلطة الغربية الّتي تتحكم فيه وفي شعبه، فجاء شعره مصوراً لآلام وطنه.

– لم يستطع حبس أحاسيسه وآلامه مما أدى إلى الإكثار من شعر الشكوى من هذه المشاكل من دفع الاحتلال والظلم والفقر و...الخ. فهذه الأحاسيس وتلك النكبات الّتي تعاقبت عليه جعلته يشكو من الشقاء والفقر والظلم والسياسة. فأصبح شاعراً يحمل لواء الشكوى في عصره.

– أن حياة الإنسان في تقلب مستمر وتغير دائم، فهناك بعض الأمور الحادة والفجائية غير المتوقعة تخرج عن نطاق السيطرة مضطربة وغير منظمة تتسم بالتوتر. جعلت من الشاعر دائم الشكوى.

– تتميز الشكوى في شعره بفقدان التصنع وتفيض بالمكابدة والصراحة في الإفصاح عن المكنونات المليئة بالألم والغم

– معظم شكواه استجابة للمؤثرات والمؤشرات التي تنطبق على كان عليه المجتمع من الظروف الحديثة ولا سيما فترة شاع فيها التعصب للحكام.

– لم تكن الشكوى مستقلة في قصائد؛ ولم يكن معظمها مباشر؛ بل انتشرت من مقطوعات، وهذا يؤكد تفاعل الشاعر مع الأغراض الشعرية الأخرى.

– معظم مقطوعات الشكوى كانت متعلقة بذات الشاعر من حيث قضايا المجتمع وظروفه وإن كانت على شكل مداعبات تمثل صورة صادقة من الفرح والحزن والتعالي والكبرياء والحب ولعصره.

محاور الشكوى في شعر الهوني:

على الرغم من أن الشكوى في شعر الهوني تواجدت في جل محاور شعره، إلا أننا لم نتطرق لكل أشعاره. أو بالأصح اقتصرت على ديوانه (الهروب داخل الذات) لذلك لم نغطي محاور الشكوى في شعره، وهذا ليس تقصيراً؛ بل لأننا ندرك ويدرك من حولنا أن قانون الشكوى قائم وملم بجميع المحاور، كل الشعراء اشتكوا بداية من الملك الضليل مروراً على ما نحن فيه وصولاً إلى مالا ندركه.

1–الشكوى **إلى الله**[1]

اشتكى الشعراء إلى الله لطلب المعونة أو بسبب ضعف إيمان، والشكوى إلى الخالق هي شكوى محمودة؛ لأنّ لله سبحانه وتعالى هو الملجأ والمعين وسرّ القوة والعون في الضيق. يعقوب– عليه السلام – قال:(إنما أشكو بثي وحزني إلى الله) [47].

إنّ الله سبحانه وتعالى ابتلى عباده بالخطوب والخوف والخير والشر والقرب والبعد، قال تعالى:(ونبلوكم بالشر فتنة وألينا ترجعون)[48]وأرسل ابتلاءاته على النفوس البشرية صورة أمراض وفقر وكوارث طبيعية ك(الزلازل والرياح والعواصف والفيضانات والحريق) تنذيراً وتخويفاً. ويمكن أن الشكوى إلى أقسام:

– الشكوى الجائزة وتكون ممزوجة بالدعاء.

– الشكوى الممنوعة وتكون محرومة من الدعاء.

– الشكوى الصريحة والمباشرة وتكون خالصة لله تعالى.

– الشكوى غير المباشرة: وتكون نتيجة القضاء والقدر، فيجب على المسلم أن يرضى بأقدار الله وأن يلجأ إليه لكشف ما يصيبه من أرزاء، وأن يلتزم بعبودية، ويتبع أوامره ويترك نواهيه؛ السعادة والسرور والراحة والاطمئنان النفسي

أما الشكوى من الموت والقدر والحظ والجوع والفقر والدهر ونوائبه فهي لا تعتبر شكوى إلى الله لكنها قضاء الله ونظامه.

يعلي الشاعر الهوني الشكوى إلى الله لهمومه النفسية وأحزانه، مجسدا ذلك في مخاطبة الغائب، فأحياناً يخاطب الله – سبحانه وتعالى–شاكيًا تواصل المصائب عليه ويرجو منه فيرفع الشكوى إلى رب السماوات والأرض ويلجأ إليه في حالة الكرب الاجتماعي والنفسي فيقول: [49]

تمر بها حالكات الليالي
تعاني العهر
بوجه لها صار أصفر
...
ولكنها آخر الليل تسهر
تضمد أبنائها الأوفياء
تقامر عليهم جميعا
فتخسر
...
فرحماك ألهي
***
لقد أرضعوا الذل
مذ ولدوا
فمن يصيح بوجه الخليفة
الله أكبر

يخاطب الشاعر الله–سبحانه–شاكياً من أحوال البلاد السيئة يتحدث عن الجنوب وما ألم بها فيقول: [50]

ليهجم ويتبعه الخانقون
فزازنة أرضنا هذه
من قرون
نموت عليها ليحيا الوطن
وها أنت أرض الجنوب

ويسترسل في مناجاته في حوار منفرد بين الشاعر والإله، فيقول: [51]

وقال لذاك الظالم الفاسد الذي [1] قضى عمره وسط الدعاة سارح
خذوه وجروه وشدوا وثاقه وألقوه في قاع الجحيم يناطح
يناطح صخرا تلسخ الجلد نارها وما هو منها طالع أو مسامح
فحمدا لرب العالمين وعدله فليس لحكم قاله فيه قاذح

ويلجأ الشاعر الهوني في أبيات مهداه لصديقه في أبيات يخفف فيها عن ما أتعب صديقه وأسقمه وأبعده وأشقاه وأسعد حساده، فيقول: [52]

هون عليك فان الأمر فيه سعه
واهرب إلى الله واحرص أن تكون معه
وجدد العهد بالأذكار تنشدها
جوف الليالي... وأحيانا تكون ضحى
واستغفر الله من كل الذنوب ومن
إثم الأثيم إذا كل الحرام أتى
وابكي على جنات عيناك من نظر
نحو المحارم قل يا طيب ذاك بكاء
وخصص الفجر للقرآن رتله
متدبرا لأية حتى تزاد سناء

هذه الأبيات شكوى ونصح وحكم تصلح لكل زمان، والشاعر يقصد صديقه بها؛ بل كل من قرأها وتمعن في معانيها.

2–القضاء والقدر:

إنّ الإنسان لا يستطيع أن يعمل خلف إرادة لله ومشيئته أو يتحدى قدرة الله. وكل ما يصيب العبد من خطوب وما يتعلق بالرزق والأجل فهذه من قضاء الله وقدره.

اشتكى الشعراء إلى الله لتنفيس والترويح والاستنجاد والاستعطاف وتحقيق معونة لله وتسديده. لذلك سنذكر ما قدرة تعالى للشاعر ولجميع الناس ونبدأه بذكر القدر الذي كتب على جميع الخلق وهو(الموت). [1] [53]

إن الشعراء يعرفون قول الله تعالى:(كل نفس ذائقة الموت) [54]ويصدقون بأنه قدر الله لا مفر منه، قال الله عز وجل:(أذا[1] جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمو [55] فالحياة الدنيا ممر ليرحل الإنسان إلى الحياة الآخرة، ويجزي الحسنات بالخير والسيئات بالشر، ومع هذه الحقيقة أنه ليشق على قلوب البشر ولاسيما موت ذوي القربى، والأصدقاء فهو حدث مؤلم يهز القلوب.

اشتكى الشاعر الهوني من شدة الألم والحزن لفراق الأعزاء وخاصة الوطن، يقول: [56]

يا أيها الوطن الذي مات
ولم يقبر أهله ميتون
لا أب يرجوه...
ولا أم حنون
لا أخ يحمل عنه
أعباء الحياة ولا بنون
لا من يعزي أهله فيه
فتنساب الدموع من العيون

مزق الم الفراق الشاعر، فظهرت في القصيدة نغمة الحزن الشديد والألم المتأجج، وفي الوقت ذاته ظهرت نغمة الكبرياء والتعالي، وكأن الوطن ليس وطنه والأم ليست أمه والأخ ليس بأخوة، تتلاطم مشاعر الشاعر فيها شيء من الصدق وشيئاً من المكر، ويبدو أن تخبطه في مشاعره هو ما جعله يحترق ويتألم فيتجه للشكوى، وهذا ما جعل كل بيت في القصيدة يحمل معنى بذاته، فتمني أن يخرج من هذه النكبة سريعاً ليتخلص من حزنه. ويقول شاكياً من الأقدار التي تحدق وتشدّد، وتولم الناس شدةً ولیناً والناس كالكرة تفعل بهم الحياة ما تشاء، ومع ذلك لم أو يسلموا في عيشهم. وهذه الأبيات صيحة من صيحات نفسه المملوءة بالأحزان والذكريات المؤلمة وهي نفحة من نفحات محطم في أيام الأسى حيث تتابعت نكبته. يقول: [57]

إن المدائن قد علت صهواتها
وتفر للقدر الرهيب
من اللصوص
يا ويلهم ركبوا القلوص
كل بلاد الله ترفضهم
على وجه الخصوص
...
آه من الزمن الكئيب
المر في حلق الرجال
...
سارت عباءات حزينة
أصحابها قد قتلوا
أو جرعوا ذل الهزيمة
بقلوبهم ذكرى أليمة

لا يسير البشر في هذه الحياة على وثيرة واحدة من الصحة والعافية، فقد يصاب بالأمراض والأسقام–وان كانوا يتفاوتون في مقاومة المرض ومدى تحملهم له أو التبرم منه–فالمرض ابتلاء من الله تعالى، فعلى المؤمن أن يرضى بقضاء الله عز وجل؛ سبحانه وتعالى يمتحن المؤمن في نفسه وأهله وماله.

إما الشكوى من المرض فلا يقصد بها أن الإنسان يعترض على حكم الله؛ بل يفعل ذلك من شدة الحزن، ولعل ذلك يتضح في أشعار النصف الأول من القرن العشرين. يقول الهوني[1]: [58]

داء أصيب به الوطن
عجز الطبيب...
هات الكفن...
إذ قد تعفن رأسه
ثم تسرب للبدن
...
من ذا يعالج دائه
من بعد ما قد فده
دود إلى الشطرين من!

3–الشكوى الاجتماعية:

تشمل الشكوى الاجتماعية على المعلومات والوثائق التي تعترض الإنسان في حياته اليومية، وتكشف عن نفس خائبة محبطة، وقد كثرت الشكوى بين الناس نتيجة انتشار الفواحش الأخلاقية والغدر والخيانة والقسوة والظلم الاجتماعي الذي أدى إلى فساد العلاقات الاجتماعية بين الناس، يقول: [59]

حسبكم من غنيمة
زوجة بيضاء
بالجنس عليمة
لا تردوها عليه
امتطوها

ويقول:[1] [60]

قال: رقيعة

كيف باعت نفسها
للشياطين مطيعة
كيف صار...
الجرم مشروعا لديها

وقد اشتكى الشاعر من الأغنياء الذين يبذرون المال في اللهو والسفر والملاهي والخمر، بدل يعطوه للفقراء والمحتاجين؛ لأن المجتمع يقوم على علاقات صحية وسليمة بين أفراده الفقراء منهم والأغنياء.

يقول: [61]

يا أيها الوطن الممزق
بين قرصان وآخر
ناهب
...
ينهبك الجميع
...
ويباع دمك بالمزاد
ويقال أنك قد سمنت
فإل متى نرضى الهوان

ويقول: [62]

يا أمنا
كم تعاني من الجور
سيدتي والزمن
تهب عليك رياح الإحن
وتدعي بأنك جنة عدن
يجور عليك
مسوخ الرجال
ويحكمك العائدون
بما جلبوه لك من عفن

4-[11] الشكوى الشخصية:

هي ما يلامس ذات الإنسان من المؤثرات الخارجية الاجتماعية كالعشق، فتعكس هموم ذاتية وأحزان فردية. وأحياناً تؤدّي الظروف الخارجية إلى المشاكل النفسية الخاصة ولو على شكل مداعبات يقول: [63]

أحبك هل تحبينني؟ على سؤالي أجيبنني
بغمزة عينك النجلاء وإن كانت ستردينني
وإلا فبلي شفتي فتار الوجد تشويني
...
وإلا فكتابتها على دفتر فتحيني
وإلا سأغادركم وأقسم لن تلاقيني

ويشكو الشاعر من الفراق وآلامه وصدود الأحبة عنه وما من العذاب والمشقة في الهوى نفس متعبة مثقلة بالهموم والوجد، وعقدة الصدود تنحوا بالشاعر بالشعور بالنقص، يقول: [64]

يا قاضي العشاق جئتك شاكياً
وامن...ألغيرك يشتك المهموما
هذي التي قد تيمتني بحبها
القلب خال والعيون نؤمه
هذي التي قد تيمتني بحبها
أسهر وتغفو إنها لملومة
هذي التي قد تيمتني بحبها
فاحكم فانك قاضي وحكومة

ويتحدّث الشاعر عن حالته المقلقة وسوء التصرف لحبيبه معه ذاك الوقت وعدم إخلاصه في الحب ويذكر الشاعر شاكيا من الفراق وآلامه أنه أمسى وبات عليلا لفراق حبيبه يقول: [65]

فجودي عليّ ولا تبخلي بريق كأنه خمر عتق
فدائك نفسي من غادة ببجر هواك تراني غرق
أنا والفراشة صنوان عشق إلى النار نهفو ولو نحترق

ويقول: [65]

طال الغياب فهل من تلاقي؟
لقد صار دمع المآقي
على وجنتي يزيد احتراقي
حبيبي لقد صار نضوي ضعيفا
كضوء هلال علاه المحاق
...
وهل يعد صدك يأتي وصال
أبث به لوعتي واشتياقي

هناك حكمة في تغير الفصول والأيام والأزمان فيصاب أحياناً الشاعر بمشاكل صحية وعقلية ونفسية خطيرة، وأحياناً أخرى بيوم جميل مبشر تنتج عنه السعادة، يقول الهوني: [66]

هذا الربيع أطل
أبشر صاحبي..
فالدفء جاء
لا خير في برد الشتاء
إلا البرودة في الصباح
وفي المساء...

ويقول: [67]

يا أنت يا إشراقه الصباح
يا من تنور الليالي
بوجهها الوضاح

يا من تدور الشمس باتجاهها

ويقول في موضع آخر: [68]

ظلام وبرق

وفرقعة في الظلام

وصوت مدوي

يهز الفضاء

لقد بلغ السيل كل الزباء

ويقول في قصيدة أخرى: [69]

حتى إذا الصبح شق الوجود

وضم الدجى ناله من بواق

تسلل نور الصباح إلينا

ففر الظلام فما حال باق

ويقول: [70]

الريح تعصف داخل البيت العتيق

...

هبي واعصفي ودريني أسمع همهمات الجاحدين

يا أيها الريح أعصفي

5-الشكوى السياسية:

تتمثل الشكوى في عدم رضا بعض الشعراء -والناس خاص-عن ولاة الأمر وسياساتهم، وقد قام بعضهم بهجاء هؤلاء الساسة بشعر يحتقرونهم فيه وعصر الهوني لم يكن مستقراً في كثير من جوانبه، فقد ساده بعض المنغضات الّتي كدرت صفو الحياة، لذلك نجده تناول تلك القضايا في شعره، فلم يترك الحكام والرؤساء الذين تشكو الأمة من سوء سياستهم، وأشار إلى لمصائب الّتي تستهدف الأمة من جانب هؤلاء الحكام والحروب الّتي أثارها الأجانب في العرب فاهتز لها ضمير العالم كلّه وحزناً وألماً. بادر الهوني إلى نظم قصيدة فيها خلاصة ما إليه العراق قال فيها: [71]

تذكر بوش

عيون الثكالى

وهم يقصفون

بيوت العرب

تذكرهم واحدا.. واحداً

وهم يقتلون بدون سبب

بدون حياء

تذكرهم وأطفاله الآن صرعى

...

تذكر ذاك الذي

بالعراق يصيح أبي يا أبي

لقد قتل الطفل دون عناء

ومزق منه الحشاء[1]

ففي هذه الكارثة الهائلة قاموا بقتل النساء والشيوخ والأطفال وذهبوا بالأيتام والمرضى ولم يرحموا أحداً، ودمرت منازلهم وهاجروا من بلدهم بسبب الدمار والتخريب إلى بلدان أخرى ومخيمات طلباً للأمان والاستقرار، لكن تلك الرياح تأبى ألا أن تعصف بهم مرة أخرى، يقول: [72]

الريح تعصف مرة أخرى

ولكن داخل الخيم العتيقة

فتحيلها أشلاء

كل ممزق منها تطاير يا رفيقة

حالت ظروف الهوني دون الجهر بكراهيته للسياسة المتبعة كما نرى في هذه المقطوعة، وكان من الطبيعي ألا يجهر بكراهيته، لأن النطق والجهر مجلبة للشر. والحقيقة أن وجدانه كان ميداناً لصراع عنيف بين الحرية في القول والجهر في هذا العامل النفسي، يقول: [73]

ميت يزهو على ميت

ويضحك في حبور

ويقول أنه صار في الأحياء

إذا ملك القصور

والناس تنظر أنه ميت

كما هم ميتون من عصور

وأن ما ملكت يداه

سواء القشور

... لو لم أكن ندا لها

ما جرت تعبت بأدواتي

وتسقيني الذي جرعته

للشعب من ظلم وجور

وقد يغضب الشاعر من معاناة أهل الجنوب فيؤدى أمره بين إقدامٍ عاقبته العقاب وإحجام يعقبه لذع الضمير، وهم يعيشون في أرضٍ غنية بالموارد البشرية فيرى فقر أهل الجنوب وأنينهم ومعاناتهم التي كانت ولا تزال، فقد امتصت كلّ خيراته يمتص الإسفنج ما في الوعاء من الماء. فيبكي عليها قائلا :[74]

ألا أيها الشعب

إن الجنوب يناديكم

فالجنوب يئن

تباع قراه وكل المدن

***

يباع...يباع بأبخس ثمن
يباع...يباع
ولكن لمن؟!!![1]

وقد يضطر الشاعر إلى الشكوى لغياب الحرية والعدل ولكثرة البطالة ولغلاء المعيشة. ويرفع شكواه لاضطراب الأمن والتضليل من الحكام في عدم تنفيذ العدل، ويترجم آلام الشعب وظلمهم واضطهادهم، فيقول:[75]

قلتم لنا أبطال
قلنا مرحبا بالفاتحين
كذب أريد به اليقين
فالكذب من شيم الرؤوس
أبناء خضراء الدمن

ويقول: [76]

أتوا بي يجرونني وهم يشتمونني وقالوا بأني خائن متسمح
ويهتف بي الأشرار كلب مضلل وقاضيهم في غيه يتبجح
...
تقاذفني الأوباش من كل جانب وإن كنت مشنوقا وظهري مقوح
وما ذاك من ذنب ولا من جريرة سوى أنني طالبت بالليل يصبح
...
ويعتقد الطاغوت أنه قد نجا وقد سجل التاريخ ما كان
ولابد من يوم ترد حقوقنا فنأخذ بالثارات ندمي ونجرح
...
أقول له قد كنت أظلم حاكم فذق لان منها بالذي كنت تمنح

ويشتكي الشاعر من قسوة قلوب أولى الأمر الذين أصبحت دعاويهم كاذبة وأعمالهم جائرة وكثرة خداعهم للناس، ويصوّر متألماً أهوال هذه الحروب النفسية التي تحول الفرد إلى دمار، يقول: [77]

عاد عرافي يلملمني..
كي يخبرني.....
عن مستقبل فيه...
رياح الحزن تهب
عن وطن.....
بل مبغي لا يعرف طب
ويطمئنني لا... لا تتعجب
حين ترى وطنك مسكوناً
بأناس من ألف مكب
..... ومكب

***

وطني يتفتت في ظلمة
أفواه الليل الحجرية
تتنازعه وتمزقه...

ويشتكي الشاعر من رجال البلاد وقّادة الأمة لعدم الاهتمام بشؤون البلاد والعباد وانشغالهم باللهو والسفر وملذات الدنيا بكل ما فيها، حتى أصبح من الصعب عليهم معرفة ما يحدث في البلاد من انتهاكات وظلم وجور كانوا هم السبب في حدوثه لإهمالهم، يقول: [78]

أنياب الشر البشرية
والمؤلم...آه والمؤلم
أن يتمازح فيها...
بلحوم الضأن المطهية
لا يعرف أماً تحضنه
...

ويقول(79): [1] **[79]**

لكنها الشمس أم الجميع
من فضحته بوجه النهار
فدبلج أحلى الخطب
ليكذب في كل بيت ودار
يداه تلطخان بالخطايا
قفاه به ألف ثقب وغار
حتى الذين يحبونه
تطايروا من حوله...
حتى الوزير الحمار

ويقول: [80]

رمى صخرة فوقها واستدار
أحال البلاد دمار
...
فخاف الجميع
لاذوا بصمت بغير اقتدار
ومات على الشفتين الحوار
فصار البلاد خرابا دمار

– الصور الفنية الأسلوبية وسمات التجربة الشعرية:

والصورة الشعرية هي الأداة التي تقودنا إلى استكشاف الشاعر وتكون في مخيلته ثم تتبلور إلى نص أدبي يعكس انفعالاته النفسية، تتنوع الصورة الشعرية وخصوصياتها تبعا الخيال واختلافه بين شاعر وآخـــر وهنا نقول:

الصورة الشعرية مشاهد لأوجه تعبيرية متعددة، مفتوحة مؤشرات في منطقة اللاوعي من الشعور حيث الخيال الابتكاري الذي يساهم بشكل مباشر في تشكيل الصورة الشعرية، فيجعل النص يحمل خصوصية من التأويلات، ينظر أليها القارئ كل زاويته الخاصة وعلى حسب معايشتها لمسارب أحاسيسه والشعر الحديث اتسم باعتماده على الصورة في معانيه حيث يحاكي مجالات متعددة متصلة بمواقف من الحياة وتجارب حية ((فالأدب ليس شكلا تعبيريا فقط؛ بل انطلاقا من ذلك ، أفكار ومضامين ورسالة إنسانية أو قومية أو فنية ألوان تتخذ في ألوان من السلوك المعين أو الظروف المعيتة، ثم هو أيضا عن نفس معيتة ذات ثقافة خاصة، وظروف تتعدد من لحظة إلى أخرى)). [1] [81]

وأبرز ما تمخضت عنه تجربة الهوني الشعرية أشياء منها تضميناته الصريحة للنص، فالصورة عنده تقوم على تداخل نصوصي مكشوف قلما تجد فيها جراءة الابتكار؛ لأننا جزء من هذه التجربة الشعورية نعاصرها ونتعايش معها – ننتج ونستهلك وهذا على رأي الناقد: عبد الله الغدامي ((يجعلنا في دائرة تكاد مغلقة حيث لا نجد المنجز الإبداعي الحديث يمنحنا حسا ذاتيا بالتميز والاختلاف))[82] وللاقتراب من رؤية الشاعر لمفردات الواقع المعيش وللوقوف على أسلوبية الجوانب والحقيقية للنص في الواقع، لابد من معرفة الأسلوب التصويري في التعبير عن المعاني الخفية التي يقيمها الشاعر بين جوانب النص.

فجاءت الصورة في معظم مقطوعاته متقلبة ومتحركة تبعا لمنحدرات الموقف وتبدل منسوب الانفعال مع مجرى عواطفه المتدفقة هائجة أم هادئة ألهبتها فجاعة الموقف، أم ألمت بها صاعقة الحياة على نحو مقطوعته هذه، يقول: [83]

جسدي يهرب من جسدي
رأسي يتمسك باللب
وأنا ما بين الرأس
وبين الجسد أدب
عدت ثانية أتجمع لتبعثرني ريح اللاحب
كل مياه العالم صرت أعب
أجاج عذب
أسربها فتؤول بخزني شب
أشربها فتسقط في القلب
رياح الحزن تهب
عن مبغي لا يعرف طب
ويطمئنني...لا تتعجب
حين ترى وطنك مسكونا
بأناس من ألف مكب
ومكب[1]

فالشاعر عندما بنى صورته تلك لم يكن يقصد الصورة وإنما كان يريد أن يعبر من خلالها عن قضاياه وأحاسيسه من الحياة والناس، وهي صدى لدوافع نفسية ملحة اتسمت بالقلق والاضطراب في رحاب النص الشعري. شعر أن جسده هرب ورأسه متعلق بشيء ضاع وسيضيع فلم يعد يقوى، في شيء من تمثيل الصورة الاستعارية الضمنية، لكنه أمام هذا المصاب لا يملك ألا أن يتأرجح بين الجسد والرأس، وصيحات الألم بين المعنى والمبنى أقفلت في وجهه سبل الحياة. صورة حسية المرارة والألم.

وبما أن الصورة الشعرية جوهر الشعر وأساس الحكم عليه (قديماً وحديثاً) إلا أن الصور الذهنية والرمزية وأحيانا البلاغية التي تتبلور وتتناغم في وجدان الشاعر هي التي تجعل من العمل الأدبي أكثر تشويقا وإثارة وصدقاً، يقول: [84]

سبها تعاني القهر
تشيخ وتحمل عصاها
لكنها تتعثر
تعاني العهر
بوجه لها صار أصفر
تكابر
فتخسر

فالشاعر عبر في شعره عن انفعالاته وذبذباته النفسية بكل صدق، نقل لنا الصورة كما هي عليه الآن.. وهذا يعني أن الصور ليس دقتها فقط أو مطابقتها للواقع، وإنما بمقدار الانفعالات الطاغية التي ظلت هائجة في دواخلنا. صور المسكوت عنه والمتغاضى ليشكل رؤيته المعتمدة على الذكريات المغموسة في الذل، والحاضر المغموس في الدم، والآتي المغموس في الترقب والأمل، لبلد مسكون بالموت والذل صور الشاعر ضياع (سبها) في ضياع الجنوب بأكمله، يبقى الجنوب، وهذ الضياع الشعوري والفكري والنفسي مسكوت عنه في متشابهات متعددة حذف المشبه أم أتى به استعار لها ما يلائمها أم صورها في الحقيقة والواقع.

أعطى الهوني لغته الشعرية البسيطة بناء متجانساً وقوة في تشكيل الصورة الشعرية، وهذا ما جعله على علم بمواقفه الاتية، فحسه التاريخي جعل من الصورة شاهد متزامناً للأحداث التي ستقع مستقبلاً، والواقع أن التشبيه الذي استخدمه في الصورة التالية، ترجم حالة المجتمع وما آل اليه والتشتت الذي كابده

الشعب جراء ماحل به، فكانت تشابيهه تصويرا للحالة بكل دقة، يقول: [85]

وتأتي الأفاعي عشاش الطيور
وكم مرة فارق الطير عشه
مازال ساستنا ذبحهم بالمحشة
وأفكارهم بين مصه وفشه

ويقول: [86]

سار فوق الموتى يمشي مرحا
فتئن تحته الموتى وتلفظه الطيور
ميت يزهو على ميت
ويقول إنه صار في الأحياء
أذا ملك القصور
وأن ما ملكت يداه سواء قشور
يكذب ويصدق نفسه.

فالطير لا يفارق عشه إلا إذا كان هناك سبب لذلك!

تتوزع قصائد الديوان على ثلاثة محاور رئيسية، الوطن، المرأة، حيث بلغت (34) قصيدة، ففي القصيدة الأولى واجهنا الوطن المعروض للبيع، والشاعر قبل أداءه الإبداعي يسعى إلى مقاربة الواقع من خلال المؤثرات الكامنة في النص، فالتواتر في النص انطلق من ظهور علامات الشكوى وانعدام أفق الأمل وفقدان القدرة على التحكم بمشاعره، راح يرسم صورة المزاد عن حقيقة العتاب، يرسمها كما يريدها أن تكون قريبة للواقع أم لصيقة به. وطن تتكالب عليه جميع الحيوانات المفترسة، استعارات متفاوتة تراوحت بين البدء بالمجهول(يباع) إلى ذكره صراحة (الوطن) استعارات مقرونة بالتشخيص والتجسيد، [87]

ويباع دمك بالمزاد[1]
ويقال إنك قد سمنت
فإلى متى نرضى الهوان
يأيها الوطن الممزق
بين قرصان وآخر ناهب
متقطع الأوصال
ينهبك الجميع

ويقول في حزنه اتجاه وطنه وما آل إليه من احتلال:[88]

عاد عرافي يلملمني..
كي يخبرني.....
عن مستقبل فيه...
رياح الحزن تهب
عن وطن...
عن مبغي لا يعرف طب
ويطمئنني لا...تتعجب
حين ترى وطنك مسكونا بأناس من ألف مكب

ويقول: [89]

بفضل سواعد بنيها
هي الأرض أمُ لكل بنيها
لكنه الشعب من قرر الموت
فلابد من ثورة تسترده
ليأخذ الشعب حقه
من غاصبيه

وقد تهتم الصورة بعلاقة الانصهار بين طرفيها فتناجي النفس على المدى البعيد، وهي من أبرز الأشياء التي تجعل إمكانية التعبير بالرمز والإيحاء (الكناية) وفهي أكتر الدلائل معبرة عن المقصود في معناه الأصلي المجرد، مثل ما عبر عنه الشاعر قصيدة عباءات بلا رجال ووصايا إرهابي ووطن للبيع والرأس المنخور والأفعى والهروب داخل الذات وحكومات الطرافش الصبار وليس للذئب وفاء. واقتضى واقع الحال تقوية خاصية الدلالة المباشرة وتناسق وسائل التعبير المجازي، بحيث يتجه القارئ الى الشكل التعبيري بذاته بعيدا عن مجريات النص وتقلباته. يقول: [90]

أيا أمنا
كم تعاني
من الجور
سيدتي والزمن
نهب عليك رياح الأحن
وتدعي أنك جنة عدن[1]

وبناء عليه جاءت صور الشاعر استمرارا للحدث الدرامي الذي صاغه الهوني بأساليب متعددة رافقت بدلالاتها حال الأسى والحزن والشكوى. ففي كناياته صور الحاكم (طوله بالقزم من غنم وسلالته من الذئاب، في قصيدة (ليس للذئب وفاء) فلم يتوارى عن وصفه في كناية النسبة والصفة معاً تبعا لما الموقف. وفي تصويره مشهد العراق وما آل له أقام مفارقة بين المدينة وحاكمها، الحاكم الذي خطب مليون خطبة والمدينة التي سطرت كفاحها بأحرف من نار، نراه يذم الحاكم ويرفع من قدر المدينة، لكن المدينة من جعلها مدينة؟ ومن جعل يؤمها الصغار والكبار؟.

ثم الأنا الواعية الباحثة بين ذكرياتها القديمة في عملية تأويل مستمر، الصارخة والممزوجة بالتحدي والحلم، يرى الشاعر انتهت وأحلامه سقطت وتعطلت إلا أن تفكيره والانا الغالبة على

تفكيره أسهبت في استرجاع صورة الماضي من خلال كناية النسبة، فبدت الصورة مفعمة بالحياة تقابلها صورة غائمة ذاكرته فيتوقف الزمن عندها ويعرض عن استمرار رؤيته للحياة وبهجتها، يقول[1] : [91]

دعوت أحبائي من العربان يوم العيد
قال العربان من الجيران
أنت غشاش
تدس السم بكل تريد
هاجرت عبر الشطآن
غدوت بعيد
لأنسى كعك العيد وألم العيد
وأنسى حتى العيد

وأمام الأنا ورفضها للحقيقة يتنقل الشاعر في نصه هذا الى منحنى الطلب وإلحاحه فيه والتصريح جهرا، ثم الاتجاه الى التهديد، فأتت الصورة تحاكي الواقع مع اشتراك الحواس في تشكيلها وتمثيلها، يقول: [92]

أحبك هل تحبيني؟ على سؤلي أجيبيني
بغمزة عينك النجلاء وإن كانت ستردينيي
وإلا قولها علنا أحبك أنت نور عيني
وإلا فكتابتها على دفتر فتحيبني
وإلا سأغادركم وأقسم لن تلاقيني

ويقول: [93]

ياربة الحسن هاقد جئناك يحفزنا
حب تنامى وبعض الحب هذيان
هل تأذنين بوصل منك يسعدني
وصل الحبيب وبعض الوصل إحسان

فالشعر تكافؤ بين العاطفة التي يحسها وبين الصورة التي يعبر بها عن تلك العاطفة. بين ما يطلبه وبين ما يرتجيه، يقول:[94]

هل تأذنين بضم منك يدفئني
هل تأذنين بتقبيل الشفاه
ففي تقبيلها تنطفي للقلب نيران
جودي على من أتاك صاديا عطشا
من ريقك العذب شهدا فهو ضمآن

وفي مقطوعات أخرى نراه يعود الى ذي بدء يكرر حواره لا يملك القدرة على الإجابة، ينطلق من خطاب يحدد فيه إطاره داخل مساحات الدال والمدلول يقول: [95]

فأحضى بشم ولمس
ولثم شفاه وطيب عناق
عناق يخدر أجسادنا
فليس لنا بعده من فواق

تنوعت الصورة في شعر الهوني بالحركة والثبات، حيث رسم أبعادها بمشاهدها المتنوعة، وهذا يحدده توظيف الحواس مجتمعة في دلالة الأفعال الماضية والتكرار الذي يفيد الديمومة يقول: [96]

بين دجلة والفرات
كانت عباءات تسير
بلا شخوص
كانت وجوه ليس فيها
من الحياة ألا الحراك
أو النكوص
إن المدائن قد علت صهواتها
وتفر من القدر الرهيب
من اللصوص
كانت عباءات تسير بلا رجال
سارت حزينة
أصحابها قد قتلوا
أو جرعوا ذل الهزيمة

ومن الصورة المفعمة بالحركة الى الصورة الجامدة في بحيث تتعطل الحياة معها، والأداة (قد) والمسبوق ب(ما) حيث جمعت مشاهد التعبير عن ما يجري، يقول[1]:[97]

حتى ذوي قرباك
قد شربوا دماك فتوروا
وأنت أنت
ماتزال بظلمة
ولكم أهنت

ومع سطوة الألم تأتي المرأة في شعر الهوني، حيث الشكوى من الوجد ومن العشق ومن الفراق، وأصدق الشعر الذي يصدر من النفس حين تفيض، ففي أبيات الحب تصريح تام تحولا فكريا عن الالتزام والمحافظة في الألفاظ والمعاني، أطلق العنان فتوارد ت تلك المشاهد الحساسة في صور الحاضر واللحظة السعيدة التي كانت مليئة بالحيوية والنشاط، فيبادر إلى الأفعال التي تحاكي اللحظة مع شيئاً من الماضي، يقول: [98]

طال الغياب فهل من تلاقي
حبيبتي لقد صار نضوي ضعيفا
كضوء هلال علاه المحاق
تمر بيا الذكريات سراعاً
بدايتها عند يوم الفراق

فهل ياحبيبتي لنا من تلاقي؟
وهل بعد صدك يأتي وصال
أبث به لوعتي وأشتياقي
ويقول: [99]
هذي العيون عيون من؟
هذي الشفاه لمن.. لمن؟
تفاح خدك قد تورد
أشهى من العسل المكرر
حين يعقد
كوني سخية وبغمزة ردي التحية
ويقول: [100[1]]
أحببت الله فكان جمالك
أول قارورة طيب عطرك
أول عشق في القلب سكبت
أول نغم للعود سمعت
أول إنسان أحببت
ويقول [101]:
تكون كل نظرة منك حبيبتي
كطلقة السلاح
أعشقك
أشتهي خدودها التي كأنها عقيق
ويقول [102]:
يا قاضي العشاق جئتك شاكيا
ولمن ...أ لغيرك يشتكي المهموما
هذي التي قد تيمتني بحبها
أسهر وتغفو إنها لملومة

يكتفي الشاعر بمخاطبة محبوبته خطاب فردي مما أدخله في مصطلح جدلية العلاقة بين الطرفين أو (جدلية إفلاس الحب) والواضح من دلالات الصور الواقعية وصف لحال الشاعر في مواقفه وانطباعاته وتقلباته العاطفية، فتعامل معها كجسد ينحني إليه طالبا قربه. تناول المرأة بكل معاني الانحلال، جسدا بدون روح– صوره تصحبها شهوة عارمة لكنها مقرونة باليأس والانهزام، ولربما هذه الصور تجسيدا للمجتمع وما أحسه منه حرمان أدى الى قهره .

والواضح أن تلك الصور التي رسمها الهوني في قصائده عن المرأة المشتهاة تكشف عن خصوصيتها البكائية للبعد النفسي، فأكسبها قدرة على التأثير من مؤثراتها الاجتماعية، ولطالما ألهم حب المرأة وجمالها الشعراء منذ قديم الزمان فهي لؤلؤة القصائد وملهمة الشعراء

الخاتمة:

لابد من القول أن الشكوى التي تركن وتتغلغل في الشعر وتتخذه منفذا للبوح ليس من السهولة تجاهلها، والشكوى الى ما ماثل للعيان أو مسكوت عنه من أصعب التعابير التي يلجأ اليها الشعراء في قصائدهم، وعلى الرغم من الدور الريادي الذي شعر الشكوى في بناء النص؛ إلا أن هناك عوامل أخرى فالعمل الشعري يقوم على مستويات عديدة كي يكتمل شكله النهائي، ويظل الاهتمام بها قائما طالما هناك شعر وشعراء مبدعون.

تبلورت الشكوى بمدلولاتها المتعددة في شعر الهوني من الشكوى العلنية إلى الشكوى المخفية، وقد شغلت حيزا من وعند تتبع الديوان لاحظنا أن الشكوى متواجدة في الديوان، استحوذت على قصائده وكانت محطة ابداعية في نصوصه، وقد ساهم في تجديد الصورة العامة.

النتائج:

– إنّ شعر الشكوى كثير في شعر الشعراء الليبيين المحدثين والقدامى، لتأثر الشعر العربي الحديث بأوضاع العصر السياسية والاجتماعية، ولتأثره بالنزعة الحزينة حيث طغيان الحضارة المادية.

– أثّرت أوضاع ليبيا السياسية والاجتماعية والاقتصادية في شعر الشعراء، فنرى أن عصرهم الأول كان مشحوناً بحروب وضغوط من جانب أعضاء الحكم وظلمهم إلى أوضاعهم الاجتماعية من فقر وجهل.

– يعتبر علي عبد المطلب الهوني في طليعة شعراء عصره في الشكوى وهو شاعر شكوى بدون منازع. وصور الحياة عنيفة تقاوم الخجل والمروئة، وهي ليست نوعا من الترف بقدر ماهي خيار صعب تنهار فيه المسؤولية.

– إن المحركات الأساسية لشكاوي الهوني ترجع إلى عدة أمور منها: إنه عاش فقيراً وبائساً، فألحقته النكبات الّتي تعاقبت عليه في حياته وأثرت في نفسه، من فقدان إلى ضيق ذات اليد، إلى بؤسه في بداية حياته، إلى غير ذلك مما جعله صاحب نفس شكاء، ثم إنه خلق أديباً قلق النفس و ليس له صبر على تحمل المشاق، وأخيراً حرمانه من عطف سلطان أو حاكم حيث لم يبلغ المكانة الّتي يبتغيها فانضم هذا الحرمان إلى ألوان الشقاء الّتي عاناها نتيجة المشاكل الاجتماعية والسياسية.

– شكاوي الهوني نجد فيها عمق العواطف وصدقها، لأنه ذاق مرارة الحياة من صغره، فإنه قد استطاع أن يعبر تعبيراً صادقاً عن أحزانه، ومن جانب آخر إنه بحكم نشأته واختلاطه بالناس صور ألام آلامه والفقر والظلم، والعنصرية في المجتمع.

–أحياناً يغلب الرؤية التشاؤمية المصحوبة بمسحة عنف فيجد أن الموت أهون تجرعاً عليه من تجرع هذا العيش المر، فيتمنى الموت خلاصاً من الشقاء ويسخط على nمن أسهم في زرع الشر فوق الأرض خاصة من الأجانب الذين دخلوا الأرض الليبية وعاثوا فيها فسادا.

– إن الهوني شكى من الظلم في الحياة وندد بسياسة الحكام. وقد أستعمل أسلوب المفارقة الساخرة؛ لأنها الأنسب في التعبير عن شكواه عن حياة تتسم بالسواد والجديد الّذي نعثر عليه إحساسه بالعبث داخل سلوك متغير في موضوعات شعره.

– ومتى كان الجهر والنطق مجلبة للشر فقد حالت ظروفه دون الجهر بكراهيته لبعض مظاهر الحكم. ففلسفة الحياة فيها كثير من الأمل.

الهوامش:

(1) هو الخليل بن أحمد الفراهيدي أبو عبد الرحمن الإمام صاحب العربية، ومنشئ علم العروض البصري، أحد الأعلام المشهورين في البصرة. ولد عام (100ه) ونشأ عابداً لله تعالى، مجتهداً في طلب العلم واسع المعرفة شديد الذكاء. وتوفي سنة (175ه).

(2) ينظر: :بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للحافظ الدين السيوطي. ت: مصطفى عبد القادر عطا، منشورات محمد علي بيضوي، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان– ط1، 2004م، ج1ص(557).

(3) الزبيدي: هو العلامة مرتضى محمد بن محمد لقب بأبو الفيض لغوي ومحدث وعالم بالرجال والأنساب، ولد عام 1732(1145) في الهند وتوفى 1790(1205)

(4) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية لإسماعيل الجوهري، احمد عبد الغفور– دار العلم للملايين، بيروت ،ط4 ، 1987م ، مادة (شكا)– ج6، ص(2394).

(5) سورة يوسف الآية(86).

(6) سورة المجادلة، الآية(1).

(7) تاج العروس من جواهر القاموس، مرتضى الزبيدي، دار الهداية، مادة (شكا)ج، 38ص(388).

– ينظر: نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري، ,دار الكتب العلمية، بيروت, ج 2 ص(18).

(16) هو أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي، أكبر قضاة الدولة العباسية. توفي سنة(450ه).

(17) ينظر: الخوالد من آراء أبي الحسن البصري البغدادي د: صلاح الدين عبد اللطيف، دار الجيل بيروت 1994م، 21).

(18) ينظر: الشعر المصري بعد شوقي الحلقة الثالثة، محمد منذور، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، مصر،1980، ص(84).

(19) ينظر: المرجع نفسه، ص(80).

*(20) المتنبي: شاعر من شعراء الدولة العباسية، أبو الطيب الكندي كوفي المولد، ولد(915م–303ه)وتوفى (965م–354ه). 354ه).

(21) ينظر: ديوان المتنبي، شرح عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت 1986 م ج3,ص(47).

*(22) أبو العتاهية: إسماعيل بن القاسم أبو إسحاق العنزي، شاعر في الزهد، ولد سنة(130ه–747م) وتوفى(826م).

(23) ينظر: تاريخ الخلفاء لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ص(329).

(24) الرؤية الأدبية(اضاءات في الأدب والنقد) رمضان سليم، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان،ط1986،1، ص(61).

*(25) هو حندج بن حجر يكنى أبا الحارث وليس مكتوباً بالضبط تاريخ موته فقد يكون بين سنة (530–540ه).

(26) ينظر: ديوان امرؤ القيس، ضبطه وصححه الأستاذ مصطفى الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان،ط5، 2004، ص(117)

(27) ينظر: أشعار الشعراء الستة الجاهليين، ت: عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت–ط1 ،1992 ص(11).

*(28) هو أبو المغلس عنترة بن عمرو بن شداد العبسي، أشهر شعراء العرب، ولد حوالي(525م) قتل حوالي(601).

(29) ينظر: شرح ديوان عنتر بن شداد، تحقيق: بدر الدين حاضري، دار الشرق العربي، بيروت لبنان،ط1، 1412 ه. 130).

(30) ينظر: تاريخ الأدب العربي لأحمد الزيات، دار نهضة الفجالة للطبع، القاهرة (د.ت) ص(32).

*(31) هو ابن عامر بن مجدعة بن جحجبا الأنصاري الشهيد.

(32) ينظر: سير أعلام النبلاء للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، حققه وخرجه ين الأرنؤوط و حسين الأسد، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، بيروت شارع سوريا 1981ج1 ص:246 .

* (33) هو همام بن غالب بن صعصعة من دارم كنيته أبو فراس ولقبه الفرزدق، ولد في البصرة 114ه، وأصيب الفرزدق بذات الجنب فكانت سبب وفاته.

(34) ينظر: ديوان الفرزدق، دار صادر بيروت لبنان، (د.ت) (د.ط)مع1،ص(5).

-(35) اشتكتني :أزالت شكواي، مضّت :أوجعت، الكلوم : الجروح.

*(36) هو جرير بن عطية الملقب بالخطفي، ولد في سنة 33 ه ومات في سنة114ه، .

(37) ينظر: شعراؤنا ديوان جرير، شرح جلال الدين سلق، دار الكتاب العربي بيروت، -لبنان- (د.ط) 2005 م ,ص(5).

(38) سورة الجاثية الآية(24).

(39) ديوان المتنبي: مرجع سابق ،ج1 ص (365).

(40) المرجع نفسه، ج3ص(47).

(41) هو أبو يوسف يعقوب بن إسحاق الكندي، توفي سنة 246 ه

(42) تاريخ الأدب العربي –العصر العباسي الثاني للدكتور شوقي ضيف دار المعارف –القاهرة 2001 ، ط12،

*(43) البحثري: هو أبو عبادة الوليد الطائي، شعر عباسي ولد

(43) الهروب داخل الذات (شعر) غلي عبد المطلب الهوني، دار النخلة للنشر،ط1، 2008، ص(29).

(44) نفس المرجع، ص(81).

(45) المرجع نفسه، ص(54).

(46) الهروب داخل الذات، ص(59).

820م– 205ه) وتوفي(897م– 284ه).

(44) ينظر: الأدب العربي وتاريخه، في العصرين الأموي والعباسي، للدكتور محمد عبد المنعم الخفاجي، (د.ت) ص107.

(45)*الكَمَدُ ، مُحَرَّكَةً : الحُزْنُ الشديد.

***(46)** بطرس البستاني: يلقب بالمعلم بطرس أديب لبناني ألف معجم محيط المحيط ، ولد سنة(1819م) وتوفي سنة(1883م).

(47) سورة يوسف، الآية(86).

(48) سورة الأنبياء، الآية(35).

(49) الهروب داخل الذات، ص(34).

(50) الهروب داخل الذات، ص(35).

(51) المرجع نفسه، ص(41).

(52) المرجع نفسه، ص(89).

(53) الهروب داخل الذات، ص(68).

(54) سورة آل عمران، الآية(185).

(55) سورة الأعراف، الآية(34).

(56) الهروب داخل الذات، ص (16).

(57) سورة آل عمران، الآية(180).

(59) الهروب داخل الذات، ص(29).

(60) الهروب داخل الذات، ص(57).

(61) المرجع نفسه، ص(55).

(62) المرجع نفسه، ص(12).

(63) الهروب داخل الذات، ص(32).

(64) المرجع نفسه، **ص(42).**

(65) المرجع نفسه، ص(42).

(66) المرجع نفسه، ص(30).

(67) الهروب داخل الذات، ص(82).

(68) المرجع نفسه، ص(26).

(69) المرجع نفسه، ص (53).

(70) المرجع نفسه، ص(82).

(71) الهروب داخل الذات، ص (50).

(72) المرجع نفسه، ص(83).

(73) الهروب داخل الذات، ص(84).

(74) المرجع نفسه، ص(33).

(75) الهروب داخل الذات، ص (29).

(76) المرجع نفسه، ص(41).

(77) المرجع نفسه، ص (23).

(78) الهروب داخل الذات، ص(24).

(79) المرجع نفسه، ص(44).

(80) المرجع نفسه، ص(43).

(81) القصيدة والنص المضاد: عبدالله الغدامي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب ط1، 1994 ص(80).

(82) الهروب داخل الذات، ص(23).

(83) الهروب داخل الذات، ص(34)

(84) الهروب داخل الذات، ،ص (60).

(85) المرجع نفسه، ،ص (84) .

(86) الهروب داخل الذات، ص(22).

(87) المرجع نفسه، ،ص (23).

(88) المرجع نفسه، ،ص (35).

(89) الهروب داخل الذات، ص(32)

(90) المرجع نفسه، ،ص (74).

(91) الهروب داخل الذات، ص(74).

(92) المرجع نفسه، ،ص(42).

(93) المرجع نفسه، ،ص(47).

(94) الهروب داخل الذات، ص(47).

(95) المرجع نفسه، ص(53).

(96) المرجع نفسه، ص(68).
(97) الهروب داخل الذات، ص(13)
(98) المرجع نفسه، ،ص (52).
(99) المرجع نفسه، ،ص (18).
(100) الهروب داخل الذات، ص(28)
(101) المرجع نفسه، ،ص (26).
(102) المرجع نفسه، ،ص(30).

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

[1]- الأدب العربي وتاريخه في العصرين الأموي والعباسي، للدكتور محمد عبد المنعم الخفاجي،(د.ت) .

[2]- الإتجاه الوجداني في الشعر د: عبد القادر القط، دار النهضة العربية ببيروت، الطبعة الثانية 1401 ه1981م.

[3]- أشعار الشعراء الستة الجاهليين، ت: عبد المنعم الجيل، بيروتـ ط1، 1992 .

[4]- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للحافظ جلال الدين السيوطي. ت: مصطفى عبد القادر عطا، منشورات محمد 5علي بيضوي، دار الكتب العلمية ، بيروت–لبنان- ط1، 2004م .

[6]- تاج العروس من جواهر القاموس، مرتضى الزبيدي، دار الهداية.

[7]- تاريخ آداب العرب لمصطفى صادق الرافعي، مكتبه الايمان، راجعه وضبطه: عبد الله المنشاوي ، المنصورة، جامعة الأزهر،ط1، 1997 .

[8]- تاريخ الأدب العربي لأحمد الزيات، دار نهضة الفجالة للطبع، القاهرة (د.ت).

[9]- تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الثاني للدكتور ضيف دار المعارف –القاهرة، ط12، 2001.

[10]- تاريخ الخلفاء لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة.

[11]- الخوالد من آراء أبي الحسن البصري البغدادي د: صلاح الدين عبد اللطيف، دار الجيل بيروت1994م.

[12]- ديوان امرؤ القيس، ضبطه وصححه الأستاذ مصطفى الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان،ط5، 2004.

[13]- ديوان الفرزدق، دار صادر بيروت لبنان، (د.ت)(د.ط).

[14]- ديوان المتنبي، شرح عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت 1986 م .

[15]- الرؤية الأدبية(اضاءات في الأدب والنقد) رمضان سليم، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، ط 1 ،1986

[16]- سير أعلام النبلاء للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، حققه وخرجه ين الأرنؤوط و حسين الأسد، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، بيروت شارع سوريا 1981

[17]- شرح ديوان عنتر بن شداد، تحقيق: بدر الدين حاضري، دار الشرق العربي، بيروت لبنان،ط1، 1412 ه.

[18]- شعراؤنا شرح ديوان أبي تمام الخطيب التبريزي، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه: راجي الأسمر، دار الكتاب بيروت، لبنان، 2005.

[19]- شعراؤنا ديوان جرير، شرح جلال الدين سلق، دار العربي بيروت، –لبنان- (د.ط) 2005 م.

[20]- الشعر المصري بعد شوقي الحلقة الثالثة.

[21]- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية لإسماعيل ت: احمد عبد الغفورـ دار العلم للملايين، بيروت ، ط4، 1987م .

[22]- العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي، دار الكتب العلمية، بيروت.

[23]- 23- فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين، للدكتور مصطفى الشكعة، عالم الكتب بيروت1981.

[24]- 24- القصيدة والنص المضاد: عبدالله الغدامي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب ط1، 1994 .

[25]- 25- نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري، دار الكتب العلمية، بيروت.

[26]- 26- النقد الأدبي الحديث د: محمد غنيمي هلال، دار النهضة مصر الفجالة (د.ت)القاهرة.

[27]- 27- الهروب داخل الذات(شعر) علي عبد المطلب الهوني، دار النخلة للنشر، ط1، 2008.

الدوريات:

[28]- جريدة عراقية، طريق الشعب73، العدد 87 السنة 12كانون الأول 2007 م.

الشبكة العنكبوتية:

[29]- 29- مقالة: شعر البصرة في القرن الرابع الهجري للأستاذ: بيان عبد الرحيم.
http://www.basrahcity.net/pather/report/141.html